

الخطايا العنصرية ضد المسلمين .

د. توفيق يوسف الواعي*

تمهيد :

دائماً أبدا يعرف الخير بالاستقامة والحب والإخاء والمعروف، ويعرف الشر بالخبث والخديعة والمكر والإضرار، فقد رأينا دعوة الأنبياء والرسل ومن قاموا بها وحملوها دعاء خير ورحمة وبر وأخوة، ورأينا جنود إبليس من الإنس والجن في مواجهتهم أهل ختل وخديعة وإضرار ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمًا مِّمَّهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(١).

وهكذا لا تهدأ نفوس الظالمين في صراعها مع الحق. «وكذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» وأهل الحق دائماً في يقظة وانتباه وحذر، لأن الله لفتهم إلى هذا الصراع ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾^(٢) وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا^(٣).

والمسلمون حملة رسالة، ودعاة هداية، ما عرف عنهم على مر التاريخ إلا الحب والعطف والمروءة، عاشت الناس في جوارهم، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، مع اختلاف الأديان والملل والنحل، ورغم ذلك لم تبرأ النفوس الشريرة من عللها، أو القلوب المريضة من أمراضها، ولم تهدأ العقول الحقودة من الخيانة أو الكراهية،

* توفيق يوسف الواعي: مدرس بكلية الشريعة / جامعة الكويت

(١) الأنعام - ١٢٣

(٢) النساء - ٧١

(٣) النساء - ١٠٢

طبيعة الفساد الذي أخبرنا الله عنه وحذرننا منه فقال ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرْدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ﴾^(١).

وجبله الضلال الذي لا يهدأ من الخديعة أو التخطيط أو الخداع الذي جبل عليه، وقد حذرننا الحق سبحانه منه ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فِرْقَانًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرْدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾^(٢) ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾^(٣) ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلُوبُهُمْ مُّوْضِعَةٌ لِّبَعْثِكُم بِكُفْرَارًا ﴾^(٤) وهكذا فالؤمن لابد أن يكون قوي الملاحظة شديد الفراسة، واسع المعرفة، يقظ الإحساس، ينظر بنور الله، ليعرف الحق، ويتجنب الشر ويفرز الخبيث من الطيب، والصواب من الخطأ، بالدليل والبرهان وشواهد الحال، فقد أخبرنا الله بذلك، «ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم»

وقد تعرض المسلمون اليوم - ويتعرضون - لمخططات رهيبة وكثيرة ومتلاحقة، تحتاج إلى يقظة وعقل وفكر لكشفها، فلها شواهد وعليها دلالات وعلامات، وقد قال عثمان بن عفان رضى الله عنه : «ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه» وفي الأثر : ﴿ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله جلابها إن خيرا فخير، وإن شراً فشر﴾^(٥) وقد فضحت هذه المخططات وظهر عوارها وبغيها وتدميرها. وكشف ستر من يدعون الحضارة ويدافعون عن الحريات ويخدعون بحقوق الإنسان، كشف أصدقاء السوء وخلان الرذيلة، فما دور المسلمين وما موقفهم وهم أصحاب الحق وحملة الرسالة والمنهج؟ وصدق الله ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم﴾، هل يصدقون ويتفقدون؟ نسأل الله ذلك.

(١) البقرة - ٢١٧

(٢) آل عمران - ١٠٠

(٣) آل عمران - ١٤٩

(٤) البقرة - ١٠٩

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٠ ط، دار المعرفة، وفيض القدير ٤١٩/٥ محمد - ٣١

المبحث الأول

التعاون بين المستشرقين والساسنة :

من المعلوم الجلي الذي ظهر لكل ذي لب أن المستشرقين عملوا عيوناً لرجال السياسة في الغرب والشرق، وبدراساتهم عن أحوال الأمم والشعوب، وأخلاقهم وعقائدهم كانت تضع الخطط لاستغلال الشعوب واستعمارها عسكرياً وفكرياً وثقافياً، وكانت تسخر معلوماتهم لمكافحة التوجهات التحريرية والتقدمية في الأمم، وهذا واقع مؤلم، أن تتطوع العقول التي تدعي الحضارة والعلم والتقدم بكامل حريتها وإرادتها لقهر الشعوب وامتثال الإنسان، وسرقة مقدرات الأمم وتركها نهبا للضياع والحرمان. ومن بين الأمثلة العديدة المختلفة نذكر أمثلة من هذه الوجوه الكوالح، والعقول والضمائر الخربة التي ساهمت في إيذاء المسلمين.

يقول المستشرق الألماني «أوليرش هارمان» كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام ١٩١٩م أقل براءة وصفاء نية.

فقد كان هيزيش بيكر - وهو من كبار مستشرقينا منغمساً في النشاط السياسي حتى أنه أصبح في عام ١٩١٤م شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في إفريقيا والهند كدروع سياسية في وجه البريطانيين»^(١)

أما عالم الإسلاميات الهولندي الشهير (سنوك هورجرونية) [ت ١٩٣٦م] فإنه في سبيل استعداده للعمل في خدمة الاستعمار توجه إلى مكة في عام سنة ١٨٨٥م بعد أن انتحل اسماً إسلامياً هو «عبد الغفار» وأقام هناك ما يقرب من نصف عام، وقد ساعده على ذلك أنه كان يجيد العربية كأحد أبنائها. وقد لعب هذا المستشرق دوراً هاماً في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية في المناطق الهولندية في الهند الشرقية. وشغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في أندونيسيا^(٢).

(١) انظر في ذلك الاستشراق د. زقزوق ص ٤٥، عن مقال كتبه أوليرش هارمان عن الاستشراق الألماني في مجلة الباحث، العدد ٢٥ يناير سنة ١٩٨٣م، ص ١٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٥

ويكشف المستشرق الفرنسي «هانوتو» سنة ١٩٤٤م في مقال له بعنوان : «قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية» يكشف بوضوح عن مقترحاته لتوجيه سياسة فرنسا في مستعمراتها الإفريقية الإسلامية، وما تهدف إليه هذه المقترحات من إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى يسهل قيادهم^(١).

ويقول الدكتور إبراهيم اللبان رحمه الله : «الواقع أن رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات» «يعنى كليات اللغات الشرقية في أوروبا من المستشرقين». ويرجعون إلى آرائهم قبل أن يتخذوا القرارات الهامة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية، وقد سمعت أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامي فيذكر أن مستر «أيدن» كان قبل أن يضع قراراً سياسياً في شؤون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين المستعمرين ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر في ضوء ما يسمع منهم. هذا إلى أن بعضهم كان يؤسس صلات صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية، ويتخذ من هذه الصلات ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في أثناء الحرب^(٢).

والاستعمار في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية التي كان باعثها الحقد، والتي كان أصحابها يستخفون وراء الصليب، والمستشرقون حلقة من حلقات تلك الحروب.

يقول «أيو جين رستو» رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية، ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م.

يقول : يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة. ومنذ قرن ونصف، خضع الإسلام لسيطرة الغرب وخضع التراث الإسلامي للتراث المسيحي.

(١) انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور البهي - ص ٣٠ وما بعدها.

(٢) الاستشراق والمستشرقون للدكتور مصطفى السباعي ص ١٩ ط دار البيان الكويت سنة ١٩٦٨م.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته وعقيدته ونظامه. وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي. بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي. ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام، وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية. لأنها إن فعلت غير ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها^(١).

ويقول «باترسون سمث» في كتابه حياة المسيح الشعبية : «باءت الحروب الصليبية بالفشل، لكن حادثاً خطيراً وقع بعد ذلك، حينما بعثت انكلترا بحملتها الصليبية الثامنة، ففازت هذه المرة. إن حملة اللبني على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى هي الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة»^(٢).

فهمت هذا الصحف البريطانية وكان هذا في ضمير الشعب البريطاني فنشرت الصحف صورة اللبني، وكتبت تحتها عبارته المشهورة التي قالها عند فتح القدس : «اليوم انتهت الحروب الصليبية» وما كان هذا هو موقف اللبني وحده، وإنما كان هذا هو الشعور والإحساس الذي يوجه الموقف الإنكليزي بالنسبة للشرق الإسلامي بخاصة والمسلمين بعامه.

ولهذا انهالت التهاني على ذلك القائد الشجاع الذي استطاع أن يفعل ما لم يستطع أن يفعله رتشارد قلب الأسد من قبل، في وجود صلاح الدين الأيوبي، وهذا هو اللبني - قلب الحمار!! ولكن أين صلاح الدين الأيوبي بل أين تلامذته؟

وكذلك كان الفرنسيون صليبيين حاقدين، وقد تكسرت نصالهم من قبل على صخرة الصمود الإسلامي أيام لويس السابع وأرنات، ولويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد الحملة الصليبية السابعة بنفسه على مصر، ولكنه أسر وحبس في دار ابن لقمان بالمنصورة، بعد أن تحطم جيشه، وأسقط في أيديهم، ورحلوا عن البلاد مجلدين بالحزني والعار.

ولما عاد الجنرال الفرنسي غورو في العصر الحديث إلى الشام بحملته وتغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي، وركله بقدمه وقال له : «ها قد عدنا يا صلاح الدين»^(٣).

(١) معركة المصير ص ٨٧ - ٩٤.

(٢) مجلة الطليعة القاهرية مقال وليم سليمان سبتمبر سنة ١٩٦٦م ص ٨٤.

(٣) القومية والغزو الفكري ص ٨٤.

وكان هذا أيضا في ضمير الساسة الفرنسيين يحكم تصرفهم ويهيمن على تحركاتهم، يؤكد هذا ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش أجابهم : «إنها معركة بين الهلال والصليب»^(١).

والاستشراق يرتبط بالصلبية والسياسة الاستعمارية ارتباطاً وثيقاً لغاية معروفة، وهي : تحويل المسلمين عن الهدف الأسمى، ألا وهو تحقيق الرسالة، وإقامة حضارة إسلامية رائدة، لتكون كلمة الله هي العليا، وإغراق المجتمع الإسلامي في الانحلال والشهوات، حتى ينسلخ المسلم من عقيدته الإسلامية، ولا يعرف في الحياة شيئا مقدسا سوى إشباع الغريزة، والانطلاق في حياة الرذيلة، ولا يسعى إلى مجد أو غاية عليا تفيد المجتمع والناس.

ولهذا يقول أحد أقطاب هؤلاء المستعمرين : «كأس وغانية تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعلها ألف مدفع» فأغرقوها في حب المادة والشهوات. ويقول توينبي : منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر طور الغرب استراتيجيته الهجومية على الشرق، ليجعلها أعمق جذورا وأبعد تأثيرا. فالحرب العسكرية والاحتلال الاستعماري لم يؤديا وحدهما كل النتائج المتوخاه! إذ رغما عن فقر الشرقيين في العدة والعتاد، وجهلهم بالتقنية الغربية الحديثة، بقيت لدى المسلمين روح نضالية مقدامة، وقفت للغرب المستعمر بالمرصاد، واستشهد رجال بالملايين - بأسلحتهم التقليدية الخفيفة البسيطة - أمام جحافل المدرعة المدججة بالأسلحة الآلية الجديدة، ولقد خبر الغرب ذلك في الثورات المتتابعة التي حمل لواءها الإسلاميون المقاومون المتحمسون - المتعصبون - كما يسميهم توينبي.

فالوهابية، والسنوسية، والمهدية، وثورة البائثان في الأفغان، وتمرد المسلمين في الهند، وثورة عبد القادر في الجزائر، وثورة عبد الكريم الخطابي في الريف المراكشي^(٢). كل هذه الثورات أعطت الغرب الدروس والعبر، فطوروا - تكتيكهم - وفتحوا جبهات داخلية في قلب الشرق، تلغم صموده، وتفتت تماسكه، وتحاول قتل الروح النضالية والإيمانية فيه، وكانت الدعوة البارة والخبيثة هي الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى .

(١) مأساة مراكش - روم رولاند - ص ٣١٠

(٢) الإسلام والغرب... والمستقبل ص ٦، ٧.

وخرجت من الشرق بعثات ووفود، وجاءه خبراء وفنيون، وقامت مؤسسات وإرساليات تبشيرية، وتضاعفت الأبحاث التي تشكك في العقيدة وتهون من أمرها. حتى قام لهؤلاء وأولئك تلامذة نجباء من المسلمين، يحملون دعوات المستعمر الاستشراقية كأنبيا كذبة، ومصلحين أفاكين، وأذئاب طائعين، وجاؤا على ذلك بضلال كذب، فصبر جميل، والله المستعان على ما يصفون.

الحقد والعداء بدون حدود :

رغم أن المسلم محب لكل إنسان، ويعلم أن حبه لكل إنسان ونفعه له سبيل إلى الإصلاح في الأرض، وسبيل إلى إسماع الإنسانية صوت ربها ووحى خالقها ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾

رغم التوسل إلى القلوب بالنسب الممدود والأخوة العميقة يقابل المسلمون بالكراهية والعداء الشديد، ورغم إيمان المؤمنين بموسى وعيسى واحترام أتباعهم كأهل كتاب إلا أن الغيط اليهودي والحقد الصليبي دائما يوج ويهدر ويدمر في حالة التسلط وإتاحة الفرصة، أو يداور ويتربص ويتلون في حالة عجزه، وقد صور ذلك القرآن فقال : ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلو عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾.

يبنى هذا الحقد في ضمير الفرد الغربى الماجن والشرقى الملحد على شتى الجبهات، وعلى كل المستويات، ننظر إلى نشيد الجندي الإيطالى الذاهب إلى طرابلس لحرب المسلمين الأمنين في بلادهم يخاطب أمه .

أماه، أتمى صلاتك يا أماه . . . لا تبكي . . . بل اضحكي وتألمي .
أنا ذاهب إلى طرابلس . . . فرحا مسرورا . . . سأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة . . . سأحارب الديانة الإسلامية . . . سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن . . .^(١)

(١) القومية والغزو الفكري ص ٢٠٨، وقادة الغرب يقولون ص ٨ ط الثانية.

وماذا كان؟ استبيحت الأمة كلها... هدمت المساجد، وحولت إلى كنائس، ثم أحرقت مكتبات المسلمين... ثم أحرقت الشعوب نفسها. وفي مصر.

يقول : بيزانت، وبالمير في كتابها «القدس»: سارفتيان القدس وما حولها من المدن الصليبية إلى مصر، واستولوا على بلبس بعد مسيرة عشرة أيام في الصحراء في طريق عرفوه من قبل، ولم يقاوم أهل بلبس إلا مقاومة ضعيفة استمرت ثلاثة أيام، استولى بعدها الفرنجة عليها، وذبحوا كل طفل وامرأة ورجل وقع في قبضتهم!!^(١) أين دعاة المسيح أصحاب غصن الزيتون؟ أكل الحقد قلوبهم، وأعمى التعصب بصائرهم أمام المسلمين، وأصبحوا يحملون الدمار والحديد والنار، حتى في العصر الحديث الذي يدعون فيه الحضارة... فنرى صحيفة «شيكاغو صن تايمز» بأمريكا أكبر صحيفة يومية في شيكاغو تكتب في مقالها الافتتاحي بتاريخ ٢٢/٢/١٩٧٩م تحت عنوان «لا تفاهم مع الإسلام إلا بلغة الحديد والنار» ثم أوردت العبارات التالية : «إن الشيوعية أفضل من الإسلام، لأنها في الأصل فكرة غربية، ويمكن الالتقاء والتفاهم معها. أما الإسلام فلا اللقاء ولا تفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار»^(٢)

وخرج أعوان إسرائيل من فرنسا بمظاهرات قبل حرب ١٩٦٧م يحملون لافتات - سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر - كتبوا على هذه اللافتات وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين هما: «قاتلوا المسلمين» فالتهب الحماس الصليبي الغربي، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط... كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتب عليها «هزيمة الهلال» بيعت بالملايين... لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة، وهي «محاربة الإسلام وتدمير المسلمين»^(٣).

يا للخبال ويا للحضارة ويا لحقوق الإنسان الفرنسية، ويا للإنسانية الغربية! أين هذا كله؟ وأين هو سارتر وأتباعه؟ وأين الوجوه المغبرة التي تتزعم الثقافة وتتكلم

(١) المسلمون المجلد السادس العدد الثالث ص٣

(٢) انظر الخائفون من الإسلام ص٤٦.

(٣) قادة الغرب يقولون ص٣٨ عن طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية ص٢٠ - ٢١

بلغة الإنسانية؟ سقطت أفئنتها الكاذبة، وظهر الخداع والغش والتزوير، وحب الدماء - وبرزت الوحشية الحضارية الباهرة.

السيطرة الاستعمارية :

لا شك أن من أغراض الحاقدين والمتربصين بالأمة الإسلامية زوال تلك الأمة، وإذا لم يتم هذا واقعياً فمعنويًا بذهاب شخصيتها، وذلك إما أن يكون بمحو ثقافتها وعقيدتها، أو بالسيطرة عليها، والهيمنة على مقدراتها، وتوجيهها إلى ما يرام لها.

وقد أخذت السيطرة في العصر الحديث أشكالاً شتى وأوضاعاً متعددة، منها العسكري، ومنها الاقتصادي، ومنها الثقافي والفكري . . الخ

ولن يتخلى الاستعمار عن المناطق الإسلامية إلا إذا ضمن أنها مربوطة بذيله، ومتعلقة بأهدابه، ومسبحة بحمده، ولن يهدأ ليلاً أو نهاراً من وضع المخططات، ودراسة التجارب والبيانات التي تيسر له طريقه ذلك، وهذا ما يجب أن يوضع في الحسبان عند دراسة أي مخطط إصلاحى للأمة الإسلامية، وقد رأينا كثيراً من الأمم الإسلامية تقع في شباك هذه المخططات عن جهل أو عن طبيعة مواتية، وطبع مشوه، وأمراض قاتلة: من حب الترف أو الزعامة والسيطرة، وحب التصدر بغير مقومات أو استحقاق. وقد جرت إلى الرضا بأفكار تفقدها حريتها، وتقتل شخصيتها وطاقاتها، وإلى قروض تنفق على الكماليات، وتصرف فيما لا يعود على المجتمع أو الاقتصاد القومي بالخير أو بالا نتعاش. وبهذا تطوق رقاب الأمم الإسلامية، وتجر بالسلاسل إلى مذابح الأعداء.

يقول باول شمتز في كتابه قوة الغد العالمية : تشير سيطرة شركات البترول الكبرى وتسلطها في العالم الإسلامي على أن الاستقلال السياسى لهذه المنطقة لن يكون سوى واجهة خداعة. وتدل الحقائق على أن منطقة الشرق الإسلامى لن تخرج خروجاً كلياً من دائرة الوصاية الأوروبية، وأن ما يبدو في المنطقة من ظواهر يعتقد البعض أنها مقدمات لقوة نامية، ليس إلا احتمالات لم تخرج إلى الواقع بعد، ويحتمل عدم وجودها. ويستدلون على ذلك بأن استعمار الدولار محل - بسرعة متزايدة - محل استعمار الأراضي، وأن الرقابة السياسية استبدلت بالرقابة

الاقتصادية. وبذلك رسخت سيادة الغرب على الشرق، وإن تغيرت صورتها، ولم تضعف، ولم تنه، وسوف تمتدّ زمنًا طويلاً^(١).

الخوف من البعث الإسلامي

صراع الحق مع الباطل حتمي - كما نعلم - وللحق صولة وجولة يخاف منها الباطل ويفزع، لأنه يعرف النهاية، وأنه لا يصمد في مواجهة هذا الحق: وصدق الله «كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» وهذا هو مفتاح ذلك الخوف والجزع من قيام الإسلام وعافيته وتجمعه وبروزه في الواقع المعاصر.

ونستطيع أن نفهم جيدا تلك النداءات الكثيرة التي يطلقها كل يوم قادة الغرب والشرق محذرين من الإسلام، وعودته إلى حياة المسلمين، وأخذه زمام المبادرة في الحياة.

ونرى ما يقوله الشرق والغرب حول هذا الموضوع الهام :

- يقول الدكتور كاسترو الزعيم الشيوعي الكوبي في معرض النصيحة لدبلوماسي إسرائيلي، ونشرت هذه النصيحة جريدة «جراما» الكويتية، ومجلة «كوباسوشاليستا» كبرى المجلات الكويتية : «يجب على إسرائيل أن لا تترك حركات الفداء الفلسطينية تتخذ طابعا إسلاميا، لأن اكتساب هذه الحركات هذا الطابع العقائدي سيجعل منها شعلة من الحماس الذي هو مألوف في المجتمعات الإسلامية، وإن الحماس الديني سيستقطب جماعات إسلامية أخرى، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها. وعلى إسرائيل أن تسعى لجعل كل دولة عربية في جوارها دولة اشتراكية الجذور، فإن منتهى المطاف لأية حركة مقاومة عربية ذات طابع اشتراكي هو التعايش السلمي العربي مع الاشتراكية الإسرائيلية»^(٢).

وهذه هي النصيحة التي حاولت القوى الاستعمارية أن تبذرها فعلا في الشرق الإسلامي يوما، ورأينا عروشا تنادي بالاشتراكية، ورأينا شبانا يعلي صور

(١) الإسلام قوة الغد العالمية ص ٢٢٤

(٢) الخائفون من الإسلام ص ٣٩ د. / محمد نعيم ياسين، ونقله محمود الصواف عن الحياة اللبنانية ٢٠٣ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ م.

چيفارا، وأمثاله، ولكن سرعان ما انتفض المارد القوى، وفضحت هذه الألاعيب وانكشف الغطاء.

وهذا هو ما تعرفه إسرائيل جيداً ويصرح به ابن غوريون في تحذير ترتعد له فرائضه «إن أخشى ما أخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد من جديد»^(١) وإسرائيل تعرف جيداً عزمة الرسول ﷺ، وعزمة التعاليم الإسلامية، وعزمة رجال الإسلام التي لا تهدأ إلا بالنصر وإزالة الباطل.

ويقول لورانس براون :

لقد كنّا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف، لقد كنّا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر - باليابان وتزعّمها على الصين - وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخوف كله لم نجده كما تخيلناه، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب العالمية الثانية، أما الشعوب الصفراء فإن هناك دولاً ديمقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها ولكن الخطر الحقيقي كامن في المسلمين، وفي قدرتهم على التوسع والإخضاع، وفي الحيوية المدهشة والعنفية التي يمتلكونها، إلا أنهم السد الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي^(٢)

وهذا هو رأي الخارجية الفرنسية : فقد جاء في كلمة لأحد المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٥٢م ما يلي : «ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي، فهي حلقة لاحقه لحلقات سابقة، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، ولكنه ليس خطراً حضارياً تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء. إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا مباشرة وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة إلى الاستغراب، أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة في الشخصية الحضارية الغربية»^(٣).

(١) جريدة الكفاح الإسلامي لعام سنة ١٩٥٥م - عدد الأسبوع الثاني من نيسان، وقادة الغرب يقولون ص ٣٣.

(٢) انظر رسالة لم هذا الرعب كله من الإسلام ص ٢٠، والتبشير والاستعمار ص ١٤٨.

(٣) المرجع السابق للأستاذ سعيد جودت ص ٢٢، ٢٣.

- ويقول المستشرق غاردنر : إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا. (١)
- ويقول هانوتوا وزير خارجية فرنسا سابقا : « لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده، وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر » (٢).

- ويقول البرمشادور : من يدري، ؟! ربما يعود اليوم الذي تصيح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون عليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب.

ويتابع حديثه قائلا : لست متنبئا، ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة... ولن تقوم الذرة والصواريخ على وقف تيارها.
إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا، إننى لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها (٣).

ومن تصريح لسالازار في حديث له مع بعض الصحفيين يقول :
« إن الخطر الحقيقي إنما هو الذى يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير في نظام العالم، فقليل له : إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم ونزاعاتهم فقال : إنى أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا » (٤).
- ويقول مرماديوك باكتول :

« إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي نشرها بها سابقا، إذا رجعو إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام روح الحضارة الإسلامية ».
- ويقول توينبى في محاضراته عن الإسلام والغرب والمستقبل :
« هناك من يفترض مقدما أن الخليط المتنافر الذي نتج عن غزو الغرب سيطور تدريجيا وسلميا إلى تركيب متجانس، وسيشكل هذا التركيب بدوره تدريجيا وسلميا أيضا نوعا من الإبداع الجديد.. »

(١) التبشير والاستعمار ص ٣٦ ط ٤

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالعالم الغربي / محمد البهي ص ١٨.

(٣) لم هذا الرعب كله من الإسلام، وقادة العالم ص ٥١.

(٤) المرجع السابق ص ١٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٩.

* رجل أسلم ثم قام بترجمة القرآن إلى الإنجليزية.

قد ينتهي الخليط إلى تركيب متجانس ، وقد ينتهي بانفجار مدمر وفي حالة وقوع مثل هذه الكارثة سيكون للإسلام دور مختلف تماما ، هو دور العنصر الفاعل في ردة فعل عنيفة تقوم بها البروليتا^(١) العالمية للشعوب المسحوقة ضد أسيادها الغربيين .

صحيح أن هذه الإمكانيات المدمرة للإسلام لا تظهر الآن حتمية الوقوع ، لأن الكلمة المؤثرة وهي «الوحدة الإسلامية» و التي كانت دائما بعبع المستعمرين منذ استعمالها في اللغة السياسية للسلطان عبد الحميد ، بدأت تفقد سيطرتها التي كانت لها على عقول المسلمين ، وليس من الصعب علينا أن نرى العوائق الذاتية الموجودة في الدعوة لمثل هذه الحركة الإسلامية الشاملة . . .

صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا أثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السلطة الغربية ونادت بزعامة معادية للغرب ، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام ، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف . إذ يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام ، وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي .

ففي عهد الخلفاء الراشدين بعد الرسول ﷺ حرر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة الرومانية التي أثقلت كاهليهما مدة ألف عام تقريبا ، وفي عهد نور الدين وصلاح الدين ، والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول .

فإذا سبب الوضع الدولي الآن حربا عنصرية يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى ، «ثم يقول كصليبي : «وأرجو ألا يتحقق ذلك»^(٢) . نرى أن العقول الغربية والشرقية على حد سواء متجهة إلى تحجيم الإسلام ، وإلى التحذير منه ، أنه في الفكر العالمي اليوم عملاق مقيد أو مارد مخبوء ، يخشى الأعداء من إطلاق ذلك العملاق ، أو الكشف عن هذا المارد المدفون ، فينفض المسلمون عن أعينهم سحائب الكرى ، وعن عزائمهم هموم الكسل والخور والوهن . فهل يفهم المسلمون ذلك!!!

هل يهادن الفكر الحاقد النظرية الإسلامية يوما؟ :

(١) البروليتاريا : تعني الطبقة العاملة في المعامل والمصانع .

(٢) انظر الإسلام والغرب . . والمستقبل توينبي ص ٦٨ .

الإسلام لا يغيب لحظة واحدة عن أعين الغربيين والشرقيين، شأن كل خائف مذعور «يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون». وإذا تجولنا للحظة في أعماق هؤلاء الناس نجد الرصد الدقيق للظواهر الإسلامية المختلفة كما نجد الفروض والاستنتاجات لكل ما يحتمل ظهوره أو تبديه.

- يقول لوثرروب ستودارد في كتابه «حاضر العالم الإسلامي»: وقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب وهم في هذا الموضوع ما برحوا يخالون الخلافة الإسلامية - لا الحج - العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك المسلمون ميولا وعواطف تشاركا مؤديا إلى الاعتزاز بالوحدة، وازدياد منعها وامتدادها وانتشارها.

إن هذا لمن الوهم الصرف «في رأيي» فالأمر على الضد منه، إن محمدا - في زعمه وليس الله - قد فرض الحج على من استطاعه فرضا مقدسا، لذلك ما زالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعا يجتمع فيه كل عام أكثر من مائة ألف^(١) حاج، وافدين من كل رقعته من رقايع العالم الإسلامي، وهناك أمام الكعبة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف اللسنة والأجناس، ويتباثون العواطف الدينية، ويتباحثون في الشؤون الإسلامية.

إن الأغراض الإسلامية التي يناها المسلمون على يد الحج الممهد لها السبيل معلومة لا تحتاج إلى كبير إيضاح، بل يكفي أن نقول: إن الحج هو المؤتمر الإسلامي السنوي العام الذي فيه يتباحث النواب المسلمون، الطارئون من أقطار المعمورة الإسلامية كافة في مصالح الإسلام، وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطريق للدفاع عن بيضة الإسلام، والذب عن حياض المسلمين، ونشر الدعوة في سبيل الرسالة. وفي هذا المؤتمر العظيم، كانت قلوب قادة اليقظة الإسلامية وأبطالها تشعر بجلال الواجب الإسلامي المقدس، وتتقد من خطورة المشهد وروعة المحفل، غيرة على الإسلام والمسلمين، وقد جهد السلطان عبد الحميد جهدا كبيرا لإحياء عظمة الخلافة الدينية، واسترداد ما كان لها من الجلال والهيبة والخطورة في العالم الإسلامي، فناله ما ناله ليس بسبب من أسباب الخلافة من حيث الاعتبار الديني بل بسبب الشعور العام الذي ظهر واشتعل في صدور المسلمين لإنشاء الجامعة الإسلامية الكبرى.

(١) هذا العدد قديم أما اليوم فيتجاوز المليونين.

هذه حقيقة غابت عن عقول كثير من ساسة أوربا، حتى وجلوا من عبد الحميد، فحسبوه في الإسلام كالباب في النصرانية، وما زال حتى اليوم أكثر ساسة الغرب يتوهمون في ذلك، فيخالون الجامعة الإسلامية، إنما مبعثها الخلافة، ونري أيضا غالب حملة الأقلام يفيضون في الكلام فيما إذا استبقيت الخلافة في السلطان التركي على ظلمة - في زعمه - أو نقلت إلى شريف مكة، أو قضى عليها القضاء الأخير، وأي من هذه الوسائل تكون خيرا لهيئس جناحي الجامعة الإسلامية؟.

إن هذا وأيم الحق لغاية ما يرتكب من الخطأ. لا ينكر أن الخلافة ما برحت رفيعة المكانة في عيون المسلمين بلا ريب، غير أن قادة الجامعة الإسلامية الحديثة ذوى العقول «الثاقبة» والذكاء المتوقد ما فتئوا منذ عهد بعيد يجدون في سبيل الجامعة الإسلامية في نطاق أوسع، وأفق أبعد، وقد أيقنوا كل الإيقان أن القوة الكبرى التي تستمدّها الجامعة الإسلامية اليوم ليست من مركز الخلافة، ولكن من بيت الله الحرام حيث الحجيج، إذ يأترون كل عام مؤتمرا عظيما، ومن إنشاء الطرق الدينية المؤدية إلى الجامعة الإسلامية كالطريقة التي أنشأها السنوسي^(١).

- ويقول لورنس في كتاب الثورة العربية: «وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا، وفي الحج، وأتساءل هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية، وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح، هل تحل المثل العليا السياسية، مكان الوحي والإلهام؟ وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟ هذا ما كان يحول بخاطري طول الطريق»^(٢).

ونرى أن أمنية الغرب تذهب شمالا ويمينا وتبحث عن بديل للإسلام تعتنقه هذه الديار المؤمنة، وتتمنى وتهوى أن يكون قوميا، ولا تمنع أن يكون حتى شيوعيا أو بلشفيا.

يقول عبد الرحمن عزام: إنه دخل مرة في نقاش مع السفير الإنجليزي في دمشق حول: أيهما أخطر في منطقة الشرق الأوسط، الشيوعيون أو الإخوان المسلمين؟ فكان رأي السفير الإنجليزي أن الإخوان هم الأخطر!! وفي كتاب لعبة الأمم يذكر مؤلفه ما فعلته أمريكا لتقطع الطريق على الإخوان

(١) لم هذا الرعب كله من الإسلام ص ٩ - ١٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

المسلمين، ويلاحظ بشكل واضح أن خطة أمريكا في العالم الإسلامي استبعاد الديمقراطية إلى أقصى حد، لأن الديمقراطية لصالح الإسلام، مع كونها ليست من الإسلام.

ولهذا نرى أن معظم الشعوب الإسلامية لا تألف الديمقراطية، ولا تتعايش معها، وإذا صح أن وجدت. فلتكن بالاسم لا بالفعل.

يقول : «و.ك. سميت المستشرق الأمريكي الخبير بشئون باكستان» : إنه من الممكن أن تصبح مثل هذه البلاد - يعني باكستان وغيرها - شيوعية، ولكن من المحال أن تكون ديمقراطية، كما أنها إذا تركت ممكن أن تكون ديمقراطية، ولكن من المحال أن تكون مع ذلك لا دينية»

لذلك ينصح رئيس تحرير مجلة التايم في كتابه «سفر أسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشيء في البلاد الآسيوية دكتاتوريات عسكرية.

ومحصلة هذا الكلام توحى بأمر، منها:

أولا - آفاق المسلمين مدروسة بعناية وفهم، وهى تحت المجهر، وعدوهم يقظ وحذر وكافر.

ثانيا - يسيرون ولا يخبرون، يسيرون في عكس مصالحهم وعقيدتهم ومصدر قوتهم.

ثالثا - الدكتاتوريات والحديد والنار والقهر وأدوات القمع لوازم لا تنفك عن الأمة الإسلامية.

رابعا - عملاء يقودون هذا المخطط الرهيب لتدمير الأمة، نزع من قلوبهم الرحمة والإيمان.

خامسا - أمة لاحول لها ولا قوة ولا تأثير، لا تملك الفهم، وإن ملكته لا تحسن العمل، وإن أحسنت فإنها تلاقى القهر والبغي والعدوان.

وهذه الأمور الخمسة أصبحت ظاهرة واضحة تجول في نفوس الكثير، أصبحت نوعا من التحدي والضغط الذى يمكن بعد فترة أن يؤدي إلى الإحباط الفكري والعقلي والإداري. وقد ظهرت بوادر هذا في أوساط المسلمين العوام «أي غير ملتزمين بالإسلام».

وإن كانت نفس العوامل إذا أحسن شرحها واستغلالها ممكن أن تؤدي إلى بعث للعزائم، وتحريك للهمم، وترية ديناميكية «مركبة» فاعلة، تستطيع أن تغلب على

كثير من العوامل المجهضة للنهضة المرتقبة - كما أن بعث التقدم العلمي في الناحية العملية قد يكون زادا أساسيا لاستقلال هذه النهضة، وقد يعمل على تخلصها من كثير من الضغوط الخارجية والاحتواءات الاقتصادية والفكرية على أنه لا بد أن يكون دائما في المخيلة وفي الوعي الحركي أن استمرارية الكفاح وكفاءته وقدرته على قهر التحديات، لا يتأتى إلا من خلال العقيدة الإسلامية الرائعة والمؤيدة في هذا المجال، والفاعلة في العواصف الصعبة على مدار التاريخ،

فلقد ثبت أن المنظور الإسلامي الرباني دائما يخوض في أغوار النفس ويرسل أشعته : إلى اللانهاية فيكون رؤية واضحة وصراطا مستقيما يعطي المسلم دائما الخلفية الفكرية الصحيحة، ويوضح دائما الرؤية المستقبلية السليمة التي تتفاعل مع أوامر الإسلام وتعاليمه في همة المسلم وعزمته، فتنبش قوة من الدفع والانطلاق العارم البصير بحساب المكاسب والمغارم، والعقبات، والنتائج حتى لا ترتعش الآفاق أمام المؤمنين العاملين : فمثلا، لقد أخبر الله المسلمين أن يتوقعوا وجود مقاومة للإسلام، وكشف لهم أن الأشياء التي تملأ قلوب المؤمنين بالدهشة والبهجة هي ذات الأشياء التي تثير الغضب الشديد لدى المشركين : يقول الله عز وجل عن غم الإسلام ﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾.

وهذا هو بالضبط ما يترأى للمتفحص لحال أعداء الإسلام أو للمجتمع الحاقدا أو الخائفا من الإسلام يريد دائما أن يرى الإسلام ضعيفا. وكل قوة للمسلمين أو إصلاح أو نهضة تصيبه بالأرق، ودائما يعمل ليل نهار وبشتى الوسائل على إجهاضها. وقتلها بعمل وحشي إن اقتضى الأمر. إذا فقد أعطى الإسلام للمسلم ميزانا صحيحا يزن به وهو : كل ما يعجب المسلم - يغضب الكافر، وكل ما لا يريده الكافر للمسلم، هو صحيح عند المسلم ينبغي أن يتوجه إليه.

فرح الغرب بهزيمة المسلمين :

كل هزيمة للمسلمين تلاقي ابتهاجا عند الغربيين أصدقاء المسلمين! وكل أرض تقتطع من أراضي الإسلام تصادف ترحيبا وتأييدا لدى القوى الحليفة لزعماء العالم الإسلامي.

ولست أرى أمة تقبل المتناقضات مثل الأمة الإسلامية في وضعها الحاضر : التي يجتمع عندها الحب والبغض، والعداء والصداقة، والخير والشر. والمصلحة

والمضرة. ولعلي لا أكون مبالغاً إذا قلت: إنه قد يجتمع العقل واللاعقل، والسمع والصمم، والعمى والبصر. ننظر إلى فعل الأصدقاء والحلفاء بأصدقائهم وحلفائهم:

يقول راندولف تشرشل المقيم في حب المسلمين عند سقوط القدس المسلمة: لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود. إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد أصدرت الكنيسة اليهودية ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود.^(١)

في المفاوضات التي كانت تجري بين الدولة العثمانية وبين بعض دول البلقان المسيحية وكانت فرنسا الوسيط في هذه المفاوضات، وكانت فرنسا وحلفاؤها قد قرروا أن لا يستفيد أي من الفريقين المتحاربين شيئاً من هذه الحرب من الآخر، وأن كل جيش يرجع إلى وضعه قبل الحرب، فرجع جيش العثمانيين إلى حدوده وانسحب من أرض الأعداء، وطالب بالمقابل أن ينسحب الجيش الآخر إلى حدوده فلم ينسحب، فأرسلت الدولة العثمانية أحد رعاياها واختارته مسيحياً حتى يكون التفاهم أفضل بين بني جلدته من المسيحيين، وهو «سليمان البستاني» إلى الميسو «بوانكريه» وزير خارجية فرنسا في هذا الوقت. يطالبه فيها بالوعد الذي قطعوه على أنفسهم بانسحاب كل دولة إلى حدودها.

فقال «بوانكريه»: مسيو بستاني، ما أخذ من الصليب لا بد أن يعود إليه، لكن ما أخذ من الهلال إلى الصليب فلا يمكن أن يعود. فلما حاول البستاني أن يقنعه بالحق والصداقة وتنفيذ الوعود، قال له «بوانكريه»: مسيو بستاني، إنك مسيحي عاقل، وإن هذه الملايين لو اجتمعت كلمتها وانتظم عقدها لحسبت أوروبا حسابها، أما في حالة تمزقها الحاضر وضياح سطوتها فليس لها وزن، ونحن نحب ذلك.^(٢)

(١) حرب الأيام الستة / راندولف تشرشل: ص ١٢٩ من الترجمة العربية، وقادة الغرب يقولون ص ٣٦.

(٢) انظر في ذلك مع الله للغزالي ص ٤٠٨.

الجدار الفولاذي :

يمثل الإسلام اليوم سد ذي القرنين الذي بناه من قديم ليمنع الباطل من القضاء على الحق في الموقع الممتاز والوقت المطلوب : «قالوا ياذا القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكنى فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال : آتوني أفرغ عليه قطرا، فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا».

فالإسلام اليوم هو سد ذي القرنين أمام القوي الحاقدة على الإسلام، يعترف بهذا الذين لم يستطيعوا أن يظهروه والذين لم يستطيعوا له نقبا :
- يقول لورانس يروان : «إن الإسلام هو الجدار الصلب الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»^(١).

- ويقول غلادستون : رئيس وزراء بريطانيا سابقا :
ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربه السيطرة على الشرق»^(٢).

- ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة عام على استعمار الجزائر:

إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن من الوجود ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم^(٣).

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا، من أجل القضاء على القرآن في نفوس الشباب الجزائري، وهي أن فرنسا قامت بتجربة عملية، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، وألبستهن الثياب الفرنسية فاصبحن كالفرنسيات تماما.

وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون..

(١) التبشير والاستعمار - ص ١٨٤.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق / لمحمد أسد = ص ٣٩.

(٣) المنار - عدد ٩ - ١١ سنة ١٩٦٢.

ولما ابتداء الحفل . فوجيء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية ، وتساءلت ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاما!!؟

أجاب لاکوست وزير المستعمرات الفرنسي : ماذا أصنع إذا كان القرآن أقوي من فرنسا؟!^(١).

- ويقول الكاتب الصهيوني «ايرل بوغر» في كتابه العهد والسيف الذي صدر عام ١٩٦٥م ما نصه :

«ان المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لابد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها، ولكي يصبح هذا التعاون ممكنا يجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي، وهي عناصر رجعية تتمثل في رجال الدين والمشايخ»^(٢).

وهذا مما يجب ان يلتفت إليه المؤمنون، ولا سيما الشباب الناهض الذي يريد أن يعرف أسباب العلل وأنواع الأمراض، وليحدد بالضبط الأدوية الناجحة لهذه الحالات المعاشة من العلل المزمنة التي حجبت الصحة والعافية عن المساهمة في بناء الإنسان المسلم وإحيائه على الأرض الإسلامية في واقعه المعاصر. وحدة المسلمين عقبة :

وحدة المسلمين وعدم فرقتهم من أسرار قوتهم، وقد نبهنا إلى ذلك القرآن الكريم فقال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ ولهذا منع الإسلام كل ما يؤدي إلى تفكيك هذه الوحدة. من الغيبة والنميمة، وإيذاء المسلم الخ - وحض على كل ما يقوي هذه الرابطة، كالتعاون وقضاء الحاجات وإصلاح ذات الدين. الخ ولهذا حرصت القوى المعادية للإسلام أن تفتت وحدة المسلمين وتعمل على تشتيت شملهم حتى تضعف قوتهم، وتوهن عزيمتهم. ولنسمع في ذلك شيئا من أقوالهم. - يقول انتوني ناثنان في كتابه «شاهدت بعيني» : «إن سرائيل لا تحشى شيئا خشيتها

(١) جريدة الأيام - عدد - ٧٧٨٠ - تاريخ ٦ كانون أول سنة ١٩٦٢م، وقادة الغرب يقولون ص ٦٩.

(٢) الإسلام في المعترك الحضاري / عمر بهاء الدين الأميري ص ٢٨.

من وحدة العرب والمسلمين، ثم روى إنتوني ناثن: أن زعماء وزارة الخارجية الإسرائيلية قالوا له: إن حكومتهم ستلجأ إلى كل وسيلة ممكنة من أجل بقاء جيراننا العرب ممزقين»^(١).

وبقاء العرب ممزقين يجعل العدو يزدردهم لقما سهلة يسهل ابتلاعها، فضلا عن أنه لا يجد ما يوقف أعماله العدوانية التي تدل على استهتار بالقيم الإنسانية، وبمن على ظهر هذه الرقعة من المسلمين المستسلمين. لأنهم كما قال سعد زغلول أصفار تجمع على أصفار = أصفاراً. فأين إذن الحقوق المسلوبة؟ وأين الرجال الذين يمكن أن يأخذوا الحقوق وهم بدد أو أشلاء.

- يقول المؤرخ البريطاني توينبي «إن القضية الفلسطينية لن تحل حلا نهائيا إلا إذا اتحد العرب». فما بالك بالمسلمين؟

وهذا هو ما يحاول كل حاقد أن يبعد المسلمين عنه، وأن يخلق الظروف والملابسات والعداوات التي تزعج المسلمين عنه.

- يقول القس سيمون: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التخلص من السيطرة الأوروبية.. من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية»^(٢).

- ويقول المبشر لورانس براون.

إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا، أو أمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له. أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير»^(٣).

هذا الفكر المعارض للحضارة الإسلامية والتجمع الإسلامي يمثل الخطر المتوهج الذي يمر بالمفتقبل الإسلامي متوعدا، يقذف بالحمم، ويفصح عن أطماعه وأغراضه في غير خجل أو وجل.

ولا يسع كل مخلص لوطنه وعقيدته ومصيره إلا أن يقف وقفة تأمل طويلة حول هذه التوجهات العدائية المتأصلة التي يحاول أصحابها أن يكونوا بربريين في ثياب

(١) حقيقة إسرائيل / شيت خطاب ص ١٣٠.

(٢) كيف هدمت الخلافة ص ١٩٠.

(٣) جذور البلاء - ص ٢٠٢.

متحضرة، وعنصريين في جلود مثقفة، ووحوشاً لها أنياب وأظافر بلمس ناعم
وابتسامات باهته.

إن مصالح الغرب وحدها لا تجعل الناس عبيدا لهم، وأهواء لقلّة أو كثرة منحرفة
جشعة تسير البشرية نحو الهاوية بغير أن تستغيث أو يكون لها الحق في أن تفتح فمها أو
تحرك ساكنها.

فليس من حق أي فرد أن يحدد غاية لأمة لا تخرج عنها، وسجنا لشعوب لا تخرج
منه، وقيوداً لأجيال لا تحاول التخلص منها. كما أنه لا يمكن أن تخدر الشعوب أو
تساق بمقامع الجلادين العملاء إلى مالا نهاية بغير إفاقة أو إحياء.

المبحث الثاني

المخططات بالوثائق والحقائق ؛

الوثائق السرية أصبحت اليوم علنية وكشف المستور، وتناقل التاريخ الحقائق التي تثبت بالدليل والبرهان القاطع ما تعانيه الأمة الإسلامية من مؤامرات ودسائس في القديم والحديث، وسنسرّد بعضاً من هذه الوثائق التي تتحدث عن نفسها وتعلن عن أصحابها وتدل على خبث نواياهم.

١ - الوثائق الشيوعية ؛

- في إحدى الوثائق الخطيرة التي نشرتها مجلة «كلمة الحق في شهر المحرم سنة ١٣٨٧هـ الموافق شهر نيسان سنة ١٩٦٧م نري المخطط الشيوعي الرهيب للقضاء على الإسلام، ونحن ننقل هنا ملخصاً من هذه الوثيقة ويظهر فيه ملامح ذلك المخطط.
تقول الوثيقة :

وبرغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي صرحوا كما تذكر مجلة «العلم والدين» الروسية في عددها الصادر في أول يناير «كانون الثاني» ١٩٦٤م ما نصه .
«إننا نواجه في الاتحاد السوفياتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية، وكأن مباديء «لينين» لم تشربها دماء المسلمين».

«وبرغم القوي اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً، وما يزال يتفجر بالقوة، بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجهرون بتعاليمه، مع أن قادة الحزب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفياتي الذي أشار في «دائرة معارف الثقافة الشيوعية» إلى أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويبدل أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين، ويقدم العون للاستغلال، وهو دين جامد حقود على الحضارات والتقدم. وخصم عنيد

للاشتراكية، ويناهض التحركات التحررية». ثم تقول الوثيقة : «ومن هذا يجب أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه وقد قررنا ما يلي :

١ - مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه . والمهادنة لأجل ، حتى نضمن السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

٢ - تشويه سمعة رجال الدين والعاملين له ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ - تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل . . ومزاومة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية .

٤ - الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفا ، والعمل الدائم ببقطة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

٥ - ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معادات الإسلام .

٦ - تشجيع الكتاب الملاحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين ، والضمير الديني والعنصرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق . وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية . .

٧ - قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية ، التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية .

٨ - إن فحش روابط الدين ، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس ، لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية . . ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج الإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر .

- ٩ - مزاحمة الوعي الديني، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .
- ١٠ - خداع الجماهير بأن نزعهم لهم أن المسيح اشتراكي ، وإمام الاشتراكية ، فهو فقير، ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعاة إلى محاربة الأغنياء . ونقول عن محمد : إنه إمام الاشتراكيين، فهو فقير، وتبعه الفقراء، وحارب الأغنياء المحتكرين والإقطاعيين، والمرابين وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، ونبعد القداسات الروحية، والوحي بقدر الإمكان لنجعلهم بشرا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم، وأوجدوها لهم أتباعهم المهووسون .
- ١١ - في القرآن الكريم والتوراة والإنجيل قصص، ولثلاث نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيرا ماديا تاريخيا، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسمالية، والإقطاعيين، والنساء الشريفات، والحكام الرجعيين . .
- ١٢ - إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي . وتجريد هذه القوى تدريجيا من موجداتها . .
- ١٣ - إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية . والأغاني الوطنية، والشئون العسكرية، والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسئولية التأخر الاقتصادي والجوع والفقر والمرض . . على الرجعية والاستعمار، والصهيونية . والإقطاع، ورجال الدين .
- ١٤ - تحطيم القيم الدينية، والروحية باظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوي الناهضة .
- ١٥ - اهتاف الدائم ليلا ونهارا وصباحا ومساء بالثورة، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين، واهتاف للاشتراكية بأنها هي اللجنة الموعد بها جماهير الشعوب الكادحة .
- ١٦ - نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي .
- ١٧ - لا بأس باستخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك . لأن

القوي الثورية يجب ألا تظهر خلاف ما تبطن إلا بقدر. ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها، فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والموروثات الدينية جميعها.

١٨ - الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح، لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية. والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخر لخدمة طبقة معينة. والصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

١٩ - تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها، وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح والدين الثوري، والدين المتطور. ودين المستقبل.. حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب - إلا القليل - مسلمون بطبيعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسما، اشتراكيين فعلا، حتى يذوب الإسلام لفظا كما ذاب معني.

٢٠ - اخذنا بتعاليم «لينين» ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصما عنيدا للدين. ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس، وإذا وجدنا من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون مهادنة الدين لأجل، والتأييد بحذر. على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين.

٢١ - الاهتمام بالإسلام مقصود منه - أولا - استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام. ثانيا - استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي. ومع أن القوي الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوي يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها، ستضعف هذه القوي حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام.

٢٢ - وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية، وتنقية الإسلام من الشوائب، وتحت ستار الإسلام، يتم القضاء عليه بأن تستبدل به الاشتراكية.

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهية فتقول :

«وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد، وقد استطاعوا أن يشبوا إلى المناصب الرئيسة في الوزارات، والإدارات الحكومية، والشركات والمؤسسات

الرسمية وغير الرسمية. ووفقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي. . ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال، في خلق جو صالح للتحرك الثوري. وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزارات والمسؤولين - الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية - واجهة يقفون وراءها. ويعملون تحت ستارها ما يريدون، في أمن وطمأنينة، مع اليقظة والحذر، دون أن تحوم حولهم شبهة أو شكوك، لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين. (١).

وثائق صليبية ومخططات غربية.

٢ - وثيقة لويس التاسع

لم تنل الحروب الصليبية المتكررة من صمود المسلمين القوي أو من عزيمتهم الصلبة ولم تستطع أن توهن من صبر المسلمين أو تخترق جدار الصلب الذي بنته العقيدة في قلوب أتباعها المؤمنين، فلجأ الصليبيون إلى التخطيط والكيد بدلا من الحروب ما أمكن، وكان رائدهم في ذلك نصيحة لويس التاسع ملك فرنسا الذي أسره المسلمون في الحروب الصليبية وسجنوه في المنصورة في دار ابن لقمان حيث كتب وثيقة وهو في سجنه تبين الخطة التي يجب أن يسير عليها الصليبيون في صراعهم المقبل مع المسلمين، وما زالت تلك الوثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس، والتي يقول فيها: «إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع ما يلي

- ١ - إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدث فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن، حتى يكون هذا الخلاف عاملا في إضعاف المسلمين.
- ٢ - عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح.
- ٣ - إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة. .

(١) نص الوثيقة في كتاب الشيوعية والإسلام / لعباس محمود العقاد ص ١٢٣.

- ٤ - الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحى في سبيل مبادئه .
 - ٥ - العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة .
 - ٦ - العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية، تمتد ما بين غزة جنوباً، وانطاكيا شمالاً، ثم تتجه شرقاً، وتمتد حتى تصل إلى الغرب^(١).
- ولقد أشارت إلى هذه الوثيقة الخطيرة مراجع عديدة من كتب التاريخ الفرنسي وذكرها المؤرخ الفرنسي (جرانفيل)، يحدد بها الموقف من العالم الإسلامي بعد هذه السنوات الطويلة من الحروب الصليبية، وقد وضع لويس التاسع معالم العمل في وسط المسلمين، وأوضح أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب أو القوة، ذلك لأن في الإسلام عاملاً حاسماً هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد، وبذل النفس والدم رخيصة في سبيل حماية العرض والأرض، وأنه مع وجود هذا المعنى عند المسلمين فمن المستحيل السيطرة على المسلمين، لأنهم قادرون دوماً - انطلاقاً من عقيدتهم - على المقاومة ودحر الغزو الذي يقتحم بلادهم، وأنه لا بد من إيجاد سبل أخرى من شأنها أن تزيف مفهوم العقيدة عند المسلمين، حتى يصبح مفهوماً سطحيًا، ثم تزرع الخلافات والعداوات وتقطع أوصال العالم الإسلامي والعربي، فينهذ هذا الصرح الضخم ويسهل ابتلاعه وإخضاعه .

مخطط إنهاء الخلافة وإبعاد الإسلام :

٣ - وثيقة لوزان

ضعفت دولة الخلافة العثمانية لعوامل عدة، منها: الفساد والفرقة بين قادتها، والدسائس والفتن، والضعف والوهن، فطمعت فيها الصليبية العالمية المتمثلة في الإنجليز، واليونان، وإيطاليا، وفرنسا . ووجدوا بذلك فرصة لضرب الجسد الإسلامي، وتمزيق شمله، فانقضت هذه الدول كالذئاب الكاسرة بجيوشها المستعدة في غفلة المسلمين اللاهين، وسيطرت على جميع أراضيها، ومنها العاصمة

(١) قادة الغرب يقولون . ص ٦٣ عن آخر ساعة العدد ٢١٠٦ من خطبة لأمير الحاج المصري لعام سنة ١٩٧٥م الوزير أحمد كمال وزير الري .

«استانبول» ولما ابتدأت المفاوضات في مؤتمر «لوزان» لعقد الصلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على صنيعتهم خائن تركيا الأكبر «أتاتورك» أنها لن تنسحب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

- أ - إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا، ومصادرة أمواله ..
- ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .
- ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .
- د - ان تختار لها دستورا مدنيا، بدلا من دستورها الذي هو مستمد من أحكام الإسلام ..

هذا فضلا عن إلغاء المحاكم الشرعية، والمدارس الدينية، والأوقاف، وأحكام الميراث، وجعل الأذان باللغة التركية، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وعطلة يوم الجمعة بالأحد .. وانتهى ذلك كله في عام (١٩٢٤م) . فنفذ «أتاتورك» هذه الشروط، واعترف الإنكليز والحلفاء باستقلال تركيا، وباركوا جهد أتاتورك في إلغاء الخلافة وعلمنة الدولة ومحاربة الإسلام ..

ولما وقف وزير خارجية انجلترا «كرزون» في مجلس العموم البريطاني يستعرض المعاهدة وما تم بشأنها مع تركيا؛ احتج بعض نواب الإنكليز بعنف على «كرزون» واستغربوا كيف اعترفت إنكلترا باستقلال تركيا التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية وتهجم على الغرب، فأجاب «كرزون» لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين : الإسلام، والخلافة . فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة^(١) .

والملاحظة الصارخة في هذه الوثيقة، هي الانسلاخ عن كل ما هو إسلامي، وطمس الهوية الإسلامية لتلك الشعوب، وتجريدها من قوتها وقطعها عن جسدها الحي وهو العالم الإسلامي، وتولية صنيعه لهم ودسيسته على المسلمين لإذهاب ريجهم .

٤ - وثيقة المؤتمر الصليبي التبشيري في القاهرة :

أعدت كوادر مدربة تدريباً جيداً لبحث الأمور في بلاد المسلمين، والعمل على

(١) من كتاب الأرض والشعب ص ٤٦ جـ ١، وانظر كتاب «كيف هدمت الخلافة» ص ١٩٠، وانظر كذلك المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام / للصوف ص ١٢٨ .

غزوها فكريا وعقائديا، ورسم الخطط لذلك، وبحث الصعوبات والحلول الممكنة التي تؤدي إلى نتائج طيبة في هذا المجال التخريبي .

ففي يوم ٤ إبريل من سنة ١٩٠٦م افتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا في باب اللوق، وبلغ عدد مندوبي البلاد الصليبية والإرساليات التبشيرية ٦٢ بين رجال ونساء، وكان عدد مندوبي أمريكا وما يتبعها ٢١، ومندوبي إنجلترا وما يتبعها من اسكتلندة وألمانيا وهولندا والسويد والدانمرك الباقي .

وقد انتخب (زويمر) رئيسا للمؤتمر، وعين له نواب وكتبة . وكان برنامج المسائل التي بحثت في هذا المؤتمر كما يلي :

١ - حصر إحصائي عن عدد المسلمين في العالم الإسلامي في إفريقيا، الإسلام في السلطنة العثمانية، الإسلام في الهند، الإسلام في فارس، الإسلام في الملايو، الإسلام في الصين .

٢ - النشرات والتعليمات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين المتنورين، حتى تتزلزل عقيدتهم .

٣ - النشرات والتعليمات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين العوام، حتى تتزلزل عقيدتهم .

٤ - الارتداد عن الإسلام، وكيفية إعلانه، وإحاطة المرتد بالعناية الفائقة .

٥ - وسائل إسعاف المنتصرين الذين يتعرضون للاضطهاد .

٦ - كيفية الدعوة بين النساء، وكيفية استخدام النساء في التبشير والتنصير .

٧ - تربية المبشرين وكيفية دراستهم إسلاميا، ومواطن ذلك، والشبه التي يقصدونها . وقد طبعت نتائج المؤتمر في كتاب نشره القس (فليمغ) ووزع على الأعضاء وكبار الباحثين والكوادر التي ستقوم بتنفيذ المخطط .

وضم هذا الكتاب بعد التنسيق فصولا بحثت في الأمور التي درست في المؤتمر بعد المناقشات والإيضاحات، ومنها :

الفصل الأول : في الطريقة التي ينبغي انتهاجها في تخريب المسلم، وهل إله المسلمين هو إله النصراني واليهود أم لا؟ وكان رأي زويمر أن إله المسلمين ليس إله النصراني، وليس له قداسة ولا محبة .

الفصل الثاني والثالث : في الصعوبات التي تحول دون إفساد المسلمين العوام، وذكر الوسائل التي يمكن التوصل بها إلى ذلك. مثل الموسيقى، والسينما، والفانوس السحري. ويمكن خداعهم بالطب والعناية الطبية.

ولكي ينجح من يريد ذلك من الصليبيين لا بد وأن يتعلم لهجة البلاد العامة، وأن يدرس القرآن، وأن يتعلم الخطابة، وأن يكون خبيراً في المحاوراة والمداورة والنقاش، وخبيراً بنفوس الشرقيين.

الفصل الرابع : ذكر الصعوبات التي تحول دون إفساد المسلمين المتنورين، وهذه الصعوبات جعلت المؤتمر يترك الأساليب الصريحة، ويوصي بالأساليب المكتوبة كالموضوعات الاجتماعية والحضارية والتاريخية والفكرية، والحريات والنقد وحرية التعبير، إلى غير ذلك من الموضوعات التشكيكية التي يمكن الدخول منها إلى موضوعات تؤدي إلى التشكيك أو الانفلات على المدى البعيد. . وفي نفس الوقت تؤدي إلى ما يلي . . .

أولاً - تؤدي إلى معرفة أحوال البلاد، وأفكار المسلمين، وشعورهم، وقياس استجابتهم.

ثانياً - تؤدي إلى الحصول على ثقة المسلمين وصدقتهم وكسب ميولهم.

ثالثاً - التعاطف المبني إلى تأييد المسلمين في بعض القضايا الهامشية، حتى يمكن معرفة أسرارهم، وبناء على ذلك أقترح إنشاء جمعيات صداقة ومحبة، وإثارة بعض القضايا من خلال تلك الجمعيات، مثل: الاختلاط، وحرية المرأة، وإحياء حفلات البهجة والسرور والمجاملات، وإحياء العادات الأوروبية والأجنبية في المجتمع، والاستعانة على ذلك بالنساء والخمور.

الفصل الخامس : ترجمة الكتب المقدسة، وطباعة النشرات، واستعمال الصحافة للتنوير، وإبراز المصطلحات المسيحية والغربية، والعمل على التهوين من المصطلحات الإسلامية والشرقية.

ثم فصل - بعد ذلك - مقررات المؤتمر في الأمور الآتية :

١ - في الإرساليات الطبية :

١ - في الإرساليات والإعداد للمكان، وللطبيب، وللوسائل التي تضمن صلة

- المريض بالطبيب، واستغلال العمل الطبي في الإفساد. وذكر إحصائيات تمت في بلاد إسلامية تفيد أن الطب كان له أهمية في هذا المجال.
- ٢ - الأعمال النسائية في التخريب وتعداد الوسائل التي يتوصل بها إلى ذلك.
- ٣ - نصائح للعاملين في هذا الحقل :
- ١ - يجب إقناع المسلمين رغم كل ذلك أن الصليبين ليسوا أعداء.
- ٢ - يجب نشر الكتاب المقدس وإهداؤه، بلغة المسلمين.
- ٣ - إفساد المسلمين يجب أن يكون أخيراً بواسطة رسول من أنفسهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها!!

ثم توالى المؤتمرات على هذا الغرار مثل مؤتمر ادنبره سنة ١٩١٠م الذي حضره ١٢٠٠٠ باحث بينهم ٥٠٢ من الإنكليز، و ٥٠٥ من الأمريكان، من بينهم «المستر روزفلت» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، والمستر براين، وهو خطيب أمريكا المشهور، وقد رشح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة مراراً وحضره من ألمانيا ٩٨، والباقي من جنسيات مختلفة. وفيه رصدت الأموال الضخمة للعمل في وسط المسلمين، ورصدت التحركات الصليبية والنجاحات التي توصلت إليها في الإفساد، وما يجب عمله في المستقبل^(١).

٥ - وثيقة ريتشارد ب ميتشل الأمريكي :

وهي المقدمة من أحد كبار العاملين في الجاسوسية الأمريكية في الشرق الأوسط إلى المخابرات الأمريكية، والذي ينصح فيها بخطة جديدة لتصفية الحركات الإسلامية، في الأمة الإسلامية، والتي نشرتها الصحف، ومنها الدعوة، ومجلة المجتمع الكويتية، في عددها ٤٢٨ المؤرخ ١٧ صفر ١٣٩٩هـ. ونقلها هنا نصاً ليرى الناس من مكائد الأعداء للدعوة الإسلامية ولأصحابها ما تشترك فيه جميع القوى العالمية بأجهزتها المختلفة، ومخابراتها المتنوعة، وأبحاثها المستفيضة. سري للغاية ؛

من ريتشارد ب ميتشل

إلى رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية :
بناء على ما أشرت إليه من تجميع المعلومات لديكم من عملائنا من تقارير المخابرات

(١) انظر في ذلك كتاب الغارة على العالم الإسلامي ص ٢٠ وما بعدها.

الإسرائيلية والمصرية التي تفيد أن القوى الحقيقية التي يمكن أن تقف في وجه اتفاقية السلام المزمع عقدها بين مصر وإسرائيل هي التجمعات الإسلامية، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين بصورها المختلفة في الدول العربية، وامتداداتها في أوروبا وفي أمريكا الشمالية.

وبناء على نصح مخابرات إسرائيل من ضرورة ضربة قوية لهذه الجماعات في مصر قبل توقيع الاتفاق ضمانا لتوقيعه. ثم لاستمرارة، وفي ضوء التنفيذ الجزئي لهذه النصيحة من قبل حكومة السيد ممدوح سالم باكتفائها بضرب جماعة التكفير والهجرة.

ونظرا لما لمسناه من أن وسائل القمع والإرهاب التي اتبعت في عهد الرئيس ناصر قد أدت إلى تعاطف جماهير المسلمين، وإقبال الشباب عليها مما أدى إلى نتائج عكسية. فإننا نقترح الوسائل الآتية كحلول بديلة :

أولا - الاكتفاء بالقمع الجزئي دون القمع الشامل، والاقتصار فيه على الشخصيات القيادية التي لا تصلح معها الوسائل الأخرى المبينة فيما بعد، ونفضل التخلص من هذه الشخصيات بطرق تبدو طبيعية.

ولا بأس من الإسراع بالتخلص من بعض الشخصيات الإسلامية الموجودة بالملكة العربية السعودية، نظرا لأن التخلص من أمثال هؤلاء يحقق المراد من القمع الجزئي، ويعمل على تدهور الثقة بين الإخوان وبين الحكومة السعودية، مما يحقق أهدافنا في هذه الفترة.

ثانيا - بالنسبة للشخصيات القيادية الأخرى التي نرى التخلص منها أيضا فننصح باتباع ما يلي :

أ - تعيين من يمكن إغراؤهم بالوظائف العليا، حيث يتم شغلهم بالنشاطات الإسلامية الفارغة المضمون، وغيرها من الأعمال التي تستنفذ جهودهم، وذلك مع الإغداق عليهم أديبا وماديا، وتقديم تسهيلات كبيرة لذويهم، وبذلك يتم استهلاكهم محليا وفصلهم عن قواعد الجماهير.

ب - العمل على جذب ذوي الميول التجارية والاقتصادية إلى المساهمة في المشروعات المصرية الإسرائيلية المشتركة المزمع إقامتها في مصر بعد الصلح.

ج - العمل على إيجاد فرص عمل وعقود مجزية في البلاد العربية البترولية الأمر الذي يؤدي إلى إبعادهم عن النشاط الإسلامي.

- د - بالنسبة للعناصر الفعالة في أوروبا وأمريكا نقترح ما يلي :
- ١ - تفريغ طاقاتهم في بذل الجهود مع غير المسلمين، ثم إفسادهم بواسطة مؤسساتنا.
 - ٢ - استنفاد جهودهم في طبع وإصدار الكتب الإسلامية، مع إحباط نتائجها.
 - ٣ - بث بذور الشك والشقاق بين قيادتهم، لينشغلوا بها عن النشاط المثمر.
- ثالثا : بالنسبة للشباب يُركز على ما يلي

- أ - محاولة تفريغ طاقاتهم المتقدة في الطقوس التعبدية التي تقوم عليها قيادات كهنوتية متجاوبة مع السياسات المرسومة.
 - ب - تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهانهم.
 - ج - تشجيع الهجوم على السنة المحمدية، والتشكيك فيها وفي المصادر الإسلامية الأخرى.
 - د - تفتيت التجمعات والجماعات الإسلامية المختلفة، وبث النزاعات داخلها وفيما بينها.
 - هـ - مواجهة إقبال الشباب من الجنسين على الالتزام بالتعاليم الإسلامية خاصة التزام الفتيات بالزي الإسلامي من الجنسين، عن طريق النشاط الإعلامي والثقافي المتجاوب.
 - و - استمرار المؤسسات التعليمية في مختلف مراحلها في حصار الجماعات الإسلامية، والتضييق عليها والتقليل من نشاطها.
- هذا ما نراه من مقترحات حلا لمشكلة التجمعات الإسلامية في هذه الفترة الدقيقة، وفي حالة اقتناعكم بها نرجو توجيه النصح للجهات المعنية للمبادرة بتنفيذها. مع استعدادنا هنا للقيام بالمهمة اللازمة في التنفيذ.^(١)

توقيع
(ريتشارد ب ميشيل)

(١) انظر في ذلك مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٧٤٢٨ صفر سنة ١٣٩٩هـ، ومجلة الدعوة المصرية نفس التاريخ وانظر في ذلك الطريق إلى جماعة المسلمين ص ٤٢٣ ط الوفاء / تأليف حسين بن محمد بن علي.

مغالبة الهموم

إن قصص الكفاح التي يخوضها المجتمع المسلم اليوم والتي يتحمل أبطالها وروادها الضغوط العالمية الصليبية والمسيحية والشيوعية، ثم لم تضعف ولم تتعاسر هي جديرة بالإعجاب والاحترام، وإن تلك العقيدة العظيمة القوية السامية التي تنفض هذه الأحقاد عن كاهلها، وهذه المؤامرات عن رجالها، وتظل متقدة في قلوبهم لتدعو إلى الإبهار، وتصيب النفوس بالدهشة.

وإن عالم الصغار والتدني اليوم لفي حاجة إلى هذه الدروس من هؤلاء الرجال الذين يصمدون رغم كل التحالفات والدراسات الخبيثة والحاكمة التي تحاك ضدهم وتنسج حولهم.

وحقبت التخلف الحضاري والعلمي والقيمي وعصور الامتهان الجسدي والنفسي لتتطلع في هذا العصر إلى هذا النوع الأصيل من الرجال أصحاب الإيمان والقوة والعزائم والعقول، حتى تنهض من كبوتها، وتتخلص من عجزها وصغارها.

إن فقراء الرجولة والعلم والإيمان قد سدوا المنافذ المطلة على الناس، وملأوا الأجواء بالهموم والقهر والحزن، وصبغوها بالنفاق والعجز والوهن، حتى يشبت قلوب الكثيرين، واحتارت نفوس بعض العاملين، ولم يجدوا أمامهم زادا إلا هذه المخططات التي تقدم إليهم في كل وقت وحين، لتغال بهم على البقية الباقية من فطرة سليمة وعقيدة مكيئة. ولكن هيهات! فإن غداً لناظره قريب.

٦ - الوثائق النصرانية ومخطط تدمير لبنان :

خلال الحرب اللبنانية سنة ١٩٧٥م وخلال المداهمات للأديرة في لبنان والتي كانت تتخذ كقلاع حربية، والأديرة في لبنان في الأصل صممت على شكل قلاع على قمم الجبال والهضاب، فلا غرابة إذن من اقتحامها بعد أن استعلمت كغرف عمليات وأماكن تحصين وانطلاق حربي للهجوم على المسلمين أثناء المداهمات الفلسطينية لدير في المتن الأعلى، وأثناء التفتيش عثر الفلسطينيون على وثيقة مكتوبة باللغة الفرنسية ويعود تاريخها إلى سنة ١٩٤٣م وفي ٢٠ آب ١٩٧٦م أذاع كمال جنبلاط هذه الوثيقة، ونشرتها الصحف اللبنانية في اليوم التالي، وفيما يلي ترجمتها :

«يا أبناء يسوع المسيح، يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعاً عن عقيدتكم : أيها الشرفاء الأطهار، لا تنسوا هذ الوصايا العشر».

١ - إن هذا الوطن لم يخلق إلا لكم، حتى تجمعوا شملكم فيه، وتباشروا حريتكم بعد الحروب التاريخية، «لعلها الحروب الطائفية لما بين ١٨٤١ - ١٨٦٠م» فاعلموا جيدا أن كلمة لبنان معناها مسيحي.

أما العرب الذين جاءوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها «كلمة عربي تعني «مسلم» في النص».

٢ - إننا قد رتبنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشة حسنة على هذه المنطقة مثل تملك الأراضي، والتوكيلات الأجنبية.

«وقد ساعد الفاتيكان والدول الأوروبية الأخرى الموارنة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ماليا، من أجل الحصول على الوكالات الدولية، والوضع السياسي، وشئون التقدم» وقد وضعنا ذلك كله في أيديكم، ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب، وتزويدها مع الأيام.

٣ - جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة، وامتلاك ساحل البحر، وخرجوا من قراكم كلما أصبحتم غالبية أو أغلبية، ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير بيروت لا يكون فيها مسلمون، وذلك عندما تسنح الفرصة.

«وهذا المرفأ قد جهز فعلا، ومنذ الأحداث الأخيرة أضيف إليه مطار جامات قرب البترون».

٤ - عليكم بأسباب القوة من لياقة بدنية وتنظيمات للشباب. واهتموا بالجيش وعليتكم بكتمان أموركم والوثوق من سلامة صفوفكم، لأن المعركة مع الأعداء مستمرة وطويلة، وهم يطوقونكم من كل جانب.

٥ - احرصوا على الزعامة الأدبية: كنشر الكتب، والسيطرة على النقابات والاتحادات، ولا تعترفوا بأن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين وحدهم، وحاربوا بلا هوادة الأفكار والأشخاص الذين يعاكسون أفكاركم.

٦ - إن الاختلافات المذهبية بين المسيحيين يجب ألا تخرج عن النظرية والسطحية، لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر، ولكنكم أبناء يسوع الذي علمنا المحبة.

٧ - ادرسوا دائما مخططات الآخرين، وتداخلوا معهم، لتعرفوا ما عندهم، ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة، ولكن على كل واحد أن يبقى مرتبطا برؤسائه وكنيسته، ولا يعصي أوامر الآباء المخلصين لكم.

- ٨ - ارفعوا رؤوسكم وشعائركم في مكان مرتفع، على الطرقات العامة، وعلى رؤوس الجبال والتلال، وفي المدارس، ومراكز البعثات، واعلموا أن كل القوى الجبارة في العالم الحر تساعدكم، وتقف إلى جانبكم في أسرع وقت، ولكن عليكم أن تتصرفوا كأنكم لا تعرفون ذلك.
- ٩ - اجتهدوا في التقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الطبية، والخدمات الشخصية، وهذا شيء سهل جدا، ولكنه يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ويدر عليكم أموالا طائلة، ونفوذا كبيرا حتى في البلاد المستعصية عليكم.
- ١٠ - إن معركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية، ودققوا كثيرا في ذلك، واهتموا بإخوانكم المغتربين، والذين نزلوا عليكم من البلدان الأخرى، لتحفظوا بحقوق الأكثرية المقررة لكم، وإلا ضاعت كل الجهود^(١).

قال جنبلاط :

«هذه الوثيقة قد كتبت في اجتماع الرهبان والمدنيين»، أي أن هذه الوثيقة كانت دستور العمل الفعلي الذي تسير عليه الصليبية في لبنان، وعلى أساسه تقوم التحركات والسياسات.

وبملاحظة ما كان عليه لبنان وما كان يدار به من سياسات وأفعال، يجد المراقب أن هؤلاء الناس كانوا يسيرون على هذه الوثيقة حرفيا. ولا أدري لم كل هذه العداوات وكل هذه الأحقاد؟ والمسلمون في كل عصر ما كانوا إلا أصحاب سماحة وحب، وكانوا نعم الجار لكل صاحب دين أو عقيدة تخالف عقيدتهم، وهل يأتي اليوم الذي يصحوا فيه هؤلاء الجاحدون ويملاؤن قلوبهم بالحب بدل الكراهية، أم أننا ننادي في واد وننفخ في رماد؟

إن الأديان المسيحية كادت أن تفني بعضها في بعض المناطق على طول التاريخ، ولم يحصل ذلك بالنسبة للإسلام مع المسيحية، وإن كان الإسلام قد لاقى من المسيحية ما تقشعر منه الأبدان، وما الأندلس ومحاكم التفتيش بخافية على أحد،

(١) انظر - هذه وصيتي، كمال جنبلاط ص ٨٥، وقد أذيعت في الصحف الصادرة في شهر ١٢ من سنة ١٩٧٥م، وانظر الصراع العربي الإسرائيلي، الجزء الأول مؤامرات الدويلات الطائفية، محمد عبد الغني النواوي ص ١٨٧.

وليس ما فعله الصليبيون في القدس بخاف على أحد، حيث قتلوا من المسلمين العزل في الأندلس بالملايين، وفي القدس قتل في المسجد الأقصى وحده ٧٠٠ ألف من المسلمين العزل، وذلك بعد التسليم والأمان والصلح، ولا مراعاة لعهد أودمة او خلق أورحمة، ولكن يظهر أن روح الأحقاد والأضغان والعفن قد حل محل شرائع الحب والهداية والإيمان والنور.

٧ - وثائق تأييد الاحتلال الفرنسي للشام :

منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدام الغزاة بيروت ودمشق أعلن نصارى بلاد الشام عن تأييدهم للانتداب الفرنسي، ووقوفهم إلى جانب المحتلين الصليبيين، ولم يكتفوا اغتباطهم بالانتصار الذي حققه القائد الفرنسي (غورو) في معركة ميسلون. وكانت فرنسا لا تتخذ قرارا داخليا في سوريا ولبنان إلا بعد دراسته مع المواطنين النصارى. وقد كانت العرائض المؤيدة للاحتلال من الصليبيين تنهال على القيادة الفرنسية، وقد حفظت وزارة الخارجية الفرنسية هذه العرائض في وثائقها. والتي سنذكر بعضها منها :

١ - « نحن أفراد الطائفة الكلدانية بحلب الموقعين بذيله، قد انتدبنا برضانا وحسن اختيارنا حضرة الخوري ميخائيل شعيّا، والسادة: فرانسوا شوها، وجيميل رسام، وسمعان موصلي. ليمثلونا أمام اللجنة الأمريكية وليسبوا لها مطالبنا وهي المحافظة على وحدة سوريا بحدودها الطبيعية، واستقلالها، وانتداب دولة فرنسا دون سواها للصياغة عليها، وإشعارنا بذلك سلمنا هذا صك الاعتماد.

حلب تحريراً ٦ - ٧ - ١٩١٩ م.

٢ - من كهنة ووجوه قصبة إهدن.

نشرف برفع عريضتنا هذه، ولما كان القصد من حرب دولتي فرنسا وانكلترا في الشرق تحرير الشعوب المظلومة، وتأسيس حكومات وإرادات تنشأ فيها حسب ما يود الأهلون مخيرين، وبما أننا من تلك الشعوب نسترحم من عدالكتهم إجابة مطلبنا الآتي :

أولا - توسيع نطاق جبل لبنان توسيعاً موافقاً لحدوده الطبيعية.

ثانياً - توسيع امتيازاته بما يناسب حالة الأهلين الحاضرة وطبائعهم.

ثالثا - حماية وإدارة الجمهورية الفرنسية .
مكررين الاسترحام بقبول التماسنا، داعين لمعاليتكم بالنصر .
٦ كانون الأول ١٩١٨ م .

التواقيع وعددها عشرون
من الكهنة والوجه^(١) .

٣ - من قضاء راشيا .

لمعالي حضرة القوميسير الأعلى في ولاية بيروت، المسيو جورج بيكولا، فخم،
نحن الموقعين إمضاءاتنا بذيله من طائفة الروم الكاثوليك بقضاء راشيا، من
ضمن لبنان الكبير، بمقتضى الخريطة التي وضعتها دولة أوربا سنة ١٨٦٠م
وقضت سياسيا أوربا بفصل قسم كبير، وحرمت قضاؤنا تلك المساعدة التي
وضعتها يد الدول العظمى، واليوم هذه الدول وضعت على مسئوليتها إعادة
الحقوق المهضومة، فإليها نرفع صوتنا مستغيثين باسم العدل إعادتنا إلى النقطة
التي حذفنا منها تركيا من الخريطة القديمة، واعتبار قضاؤنا من ضمن لبنان
الكبير تحت حماية فرنسا راجين رفع عريضتنا هذه للمؤتمر العالي، لينظر
بحالتنا، ويتذكر أننا بيده وضعنا مع لبنان الكبير، وهو اليوم مسؤول تجاه الله
والعالم المتمدن لإعادة حقوقنا المهضومة .

تواقيع مختار الكاثوليك وإخوانه

وكيل متروبوليتان الروم الكاثوليك
بقضاء راشيا

٤ - من مختلف الطوائف المسيحية في قضاء راشيا :

نحن الموقعين أختامنا وإمضاءاتنا في ذيله : سكان قضاء راشيا، الواقع في
سفح جبل حرمون الغربي، بكون بلادنا هي من حدود لبنان القديمة
الطبيعية، كما تثبت ذلك الأدلة التاريخية والجغرافية والجيولوجية، وقد فصلت
بلادنا عن لبنان السياسة التركية منذ نصف قرن، فنريد أن ننضم إلى لبنان
الكبير المنوي تأسيسه، على أن يكون حائزا على امتيازاته واستقلاله، ويكون
مربوطا بسورية ربطا اقتصاديا، تكفله دولة الوصاية على لبنان وسورية، وعلى

(١) المرجع السابق ص ١٦٠ .

هذا نرفع مطالبنا بواسطتكم إلى مؤتمر السلام المعظم، وإننا نتمنى أن تكون الجمهورية الفرنسية الفخمة الدولة الوحيدة المساعدة لنا، وبهذا نكون قد نلنا مراحم عظيم جودكم.

التوقيع والاختام أكثر من ٤٠٠ من الطوائف المسيحية^(١).
هذا وقد عاب رجل من المسيحيين هذا الوضع المخزى من بني جلدته، وهو رشيد سليم الخوري فقال :
وكيف ألوم في وطني الزمانا ومنا ذلّه لامن سوانا
ألسنا قد أهناه فهانا وقلنا كن فرنسيا فكانا
إذن فليهننا نيل المراد

رضينا «للتعصب» أن نهونا فأغمضنا على الضيم العيونا
نقول المسلمون المسلمونا فنرميهم ونحن الخائنونا
نبيع بدرهم مجد البلاد

بربك قل : متى لبنان ثارا ليدرك من علوج الغرب ثارا؟
متى نفرت إلى السيف النصارى لتغسل بالدم المسفوك عارا؟
وتحرز مرة شرف الجهاد^(٢)

٨ - وثيقة الأركان الإسرائيلية لتفريق العرب وإنشاء دويلات جديدة :

حصل الكاتب الهندي «ر.ك. كارانجيا» صاحب مجلة [بليتز] الهندية على وثيقة إسرائيلية أودعها كتابه الذي أسماه «خنجر إسرائيل» نشر منها ما يلي «... لتقويض الوحدة العربية وبث الخلافات الدينية بين العرب يجب اتخاذ الإجراءات الآتية - منذ اللحظة الأولى من الحرب، لإنشاء دولة جيدة في أراضي الأقطار العربية :-

- ١ - دولة درزية : [منطقة الصحراء وجبل تدمر].
- ٢ - دولة شيعية : تشمل قسما من لبنان - اريتز آش - أي منطقة جبل عامل

(١) تطور الحركة الوطنية في سورية ص ٣٩، ورؤية الصراع العربي الإسرائيلي الجزء الأول مؤامرة الدويلات الطائفية ص ١٥٩ - ١٦١.
(٢) المرجع السابق ص ١٧٩

ونواحيها.

- ٣ - دولة مارونية: تشمل جبل لبنان حتى الحدود الشمالية الحالية للبنان.
 - ٤ - دولة علوية: أي نصيرية - وتشمل اللاذقية حتى الحدود التركية.
 - ٥ - دولة أو منطقة ذات استقلال ذاتي قبطي.
- «وستوزع الأراضي العربية بما في ذلك المنطقة الصحراوية بين الدول الجديدة. تبقى المناطق العربية التالية :
- دمشق، جنوب العراق، مصر، وسط العربية السعودية وجنوبها.
- ومن المرغوب فيه إنشاء ممرات غير عربية تشق طريقها عبر هذه المناطق العربية».
- وجاء في الوثيقة أيضا :

«ويجب علينا أن نظهر الود للدروز، والموارنة، ونحرضهم على إنشاء دولة مستقلة، إن احتلال الجليل حتى نهر الليطاني سيسهل الدفاع عن الحولة، وسي عزل كذلك لبنان عن سورية»^(١).

٩ - الوثيقة المارونية التي سربتها السفارة السوفياتية في بيروت :

سربت السفارة السوفياتية في بيروت إلى الصحف اللبنانية تقريرا سريا جاء فيه أن سليمان فرنجية، وكميل شمعون، وبيار الجميل، وحلفاءهم، اتفقوا على تقسيم لبنان إلى دويلات، ضمن مخطط شامل، يرمي إلى إنشاء دويلات متعددة في العالم العربي. وبالتحديد في الدول المواجهة لإسرائيل، تشكل بمجملها حزام أمن دائم للدولة الإسرائيلية من جهة، وتسقط من جهة ثانية الشعار الذي رفعته المقاومة الفلسطينية بإقامة دولة علمانية ديمقراطية فوق تراب فلسطين، يتعايش فيها الفلسطينيون والإسرائيليون.

والتقسيم المتفق عليه يشتمل على الآتي :

- ١ - دولة مارونية في جبل لبنان، وحدودها هي حدود دولة لبنان الصغير قبل ضم البقاع والشمال والساحل إليه.

(١) خنجر إسرائيل كارانجيا ص ٥٨ - ٦٩ - ٧٢ والمرجع السابق ص ٣١٥

٢ - دولة إسلامية في الشوف وفي الساحل والجنوب: تضم المسلمين في لبنان والفلسطينيين.

٣ - ضم البقاع وقسم من شمال لبنان إلى سورية.

٤ - دولة درزية في الجولان تكون فاصلا بين إسرائيل والدولة السورية. ومن الجدير بالذكر أن البند الأول من هذه الوثيقة - الذي يخص الموارد - يتفق تماما مع مضمون المذكرة التي قدمها موارد لبنان إلى المبعوث الفرنسي «كوف دي مورفيل»^(١).

١٠ - الرسائل المتبادلة بين إدّه وكيسنجر :

«ريمون إدّه» تعرف كل الأوساط العربية وغيرها بعدم إخلاصه للقضية العربية، قام في الآونة الأخيرة وحسب مخطط مرسوم - بالاتصالات للاتفاق على التقسيم الطائفي في لبنان، فزار الولايات المتحدة الأمريكية، ومعظم العواصم الأوروبية، وختم جولته واتصالاته برسالة بعث بها إلى وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، وصفه فيها بأنه مهندس الحرب اللبنانية، بتكليف من إدارة البيت الأبيض.

وقد جاء في الرسالة مما يخص موضوعنا - وهو تقسيم لبنان - ما يلي :
إن المخطط يقتضي إعطاء البقاع وطرابلس وعكار - أي المنطقة التي اقتطعت من سوريا عام ١٩٢٠م وضمت إلى لبنان، وتكون هذه الأراضي بدلا عن الجولان التي لن تتنازل عنها إسرائيل. وما تبقى من لبنان يقسم إلى ثلاثة أقسام :
الأول : شمال طريق بيروت شترة للمسيحيين.

الثاني : ويقع جنوب الطريق المذكور حتى نهر الليطاني، يعطى للبنانيين المسلمين وللفلسطينيين.

الثالث : ويقع بين الليطاني والحدود اللبنانية الإسرائيلية، تحتله إسرائيل من أجل تأمين المياه اللازمة لها.

وقد رد كيسنجر برسالة بعث بها إلى إدّه جاء فيها :
«إن الزلازل لا تحدث إلا في الأرض المشقوقة، ولا أكتمك إن لبنان هو بلد مثالي

(١) نشرت هذه الوثيقة الصحف اللبنانية في نهاية الشهر التاسع من عام ١٩٧٦م، انظر القبس في يوم ٢٨ - ١٩٧٦/٩م.

لتحقيق المؤامرات. ليس ضده فقط، وإنما ضد العالم العربي ككل. ومن هنا اكتشفت في تناقضاته عناصر جديدة لنصب فخاً كبير للعرب جميعاً.

وأضاف قائلاً :

«إن التناقضات اللبنانية هي التي كانت تؤمن لنا الخطة وسلامتها، مرة واحدة حدث خطأ عربي أوربي كاد يجمد حركة العملية، وسارعت بإرسال «دين براون» وهو مهندس سياسي اختصاصي بعمليات الشرق الأوسط. ولقد اكتشف بسرعة موضع الخلل، ثم أعاد ضبط الجهاز الكبير الذي يحرك الأمور حسب الأهداف المطلوبة والخطة المرسومة.

وقد تسأل «مستراذه» عن طبيعة هذه الخطة! لا أكتمك أنني بدأت بشيء ثم انتهيت بشيء آخر. كان همي الوحيد أن أبعد الاتحاد السوفياتي عن مجال التدخل والحسم والمشاركة في حل أزمة الشرق الأوسط، كما أسعى إلى تأجيل مؤتمر جنيف، والاعتراف بمنظمة التحرير إلى ما بعد انتخابات الرئاسة، أي مدة سنتين على الأقل، ثم تشعبت مطامعي بعد ما رأيت أن خصوبة الأحداث الدامية في لبنان قد أسقطت صيغة التعايش المطروحة. وبعد أن بدا لي أن ما كان يحلم به «موشى شاريت» عندما كتب رسالته الشهيرة إلى [بن غوريون] في ١٨/٣/١٩٧٤م، أصبح سهل المنال.

ورسالة شاريت مع بن غوريون كانت عن وجوب تقسيم لبنان : حيث قال شاريت حرفياً: «لا جدوى ولا فائدة في محاولة إثارة حركة من الخارج، إذا لم يكن لهذه الحركة وجود في الداخل، ومن الممكن تعزيز روح حية إذا كانت تنبض من تلقاء نفسها، وليس من الممكن بعث الروح في جسد لا تبدو عليه دلائل الحياة.

هذا ما قاله شاريت حرفياً عن لبنان. لذلك لا أريد أن تجعلني مسئولاً عن خطة كانت إسرائيل تمهد لها منذ عام ١٩٥٤م. صحيح أنني أفكر بخلق دويلات شبيهة بإسرائيل بعد ما فشلت في إقناع الدول العربية بفكرة الصلح الانفتاحي. وفي قبول هذه الدولة الجديدة جزءاً من المنطقة، ولكن الصحيح أيضاً أن الأحداث الدامية التي افتعلناها أمنت لنا أرضية مثالية لتقسيم النفوس الموحدة، وتدمير صيغة التعايش، وإحداث خلل أساسي في النظام الديمقراطي الوحيد في المنطقة^(١).

(١) انظر الوطن الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩/٨/١٩٧٧م. والسياسة الكويتية الصادرة في ١٢/٦/١٩٧٦م بالنسبة لرسالة إدة، وقد نشرت رسالة كيسنجر أكثر من صحيفة عربية ومنها الوطن الكويتية المشار إليها.

وبعد

ليس قصدنا من كشف هذه المخططات إشعال نار العداء والكرهية بين المسلمين على هؤلاء الجناة، ولا المطالبة بالقطيعة أو القصاص أو المعاملة بالمثل. لأن المسلم لا يعرف الحقد أو الانتقام أو التشفي أو المكر والإضرار، وإنما يعرف الهداية والحذر، ويعرف فتح البصيرة واليقظة، وإفساد البغي ومقاومة الظلم بطرقه المشروعة، وإنما مرادنا من ذلك أن يصحو المسلمون وينفضوا الغبار عن وجوههم فإنهم في أرض مسبعة وصدق القائل.

ومن رعي غنما في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد وأن ينظروا مواطناء أقدامهم، فالأرض مليئة بالحيات والعقارب والشياطين والمزلق، وصدق القائل.

قدر لنفسك قبل الخطو موضعها فمن علا جبلاً عن غرة زلقا مرادنا من ذلك أن يعرف المسلمون قدر أنفسهم، وقدر رسالتهم، ومقدار ما هم عليه من إهمال ونسيان لأفضل شيء في الوجود، محتاجة البشرية الحقودة التي أتعبها الشقاء والبغي والصراع والظلم. مرادنا من ذلك ألا ينخدع المسلمون بالشعارات أو البهرج الكاذب، فهم أصحاب الهداية والحضارة والمدنية الحققة التي على جنباتها ترتاح النفوس وتستقر، مرادنا من ذلك أن نرى التاريخ الحديث والحوادث بمنظار الحقيقة، ونرى أنفسنا ونحن ننفذ مخططات الأعداء ونساق إليها، ونترك هداية ربنا ووجيهه وهداه، نرى أنفسنا أحرارا ولا حرية، وشعوباً ولا رأي، وجموعاً ولا عقل، وملايين ولا عزم «لا أثر!!

ثم نرى أنفسنا وقد تنبهنا وقمنا وسعينا وناديننا من جديد ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^(١) «بل نقذف بالحق على الباطل مبدعة فإذا هو زاهق»^(٢) والله أسأل أن يوفق ويهدي إلى الصراط المستقيم أمين.

(١) الإسراء - ٨١

(٢) الانبياء - ١٨

قائمة المراجع

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
آفاق جديدة في الدعوة الاسلامية	أنور الجندي	مؤسسة الرسالة
أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية	أحمد الملا	دار الفكر
الاستشراق	د. محمد زقزوق	الأمة
الاستشراق والمستشرقون	د. مصطفى السباعي	دار البيان الكويت
الاسلام على مفترق الطرق	محمد أسد.	دار العلم للملايين ط ٦
الاسلام في الفكر الأوربي	د. محمد شامة	مكتبة وهبة - القاهرة
الاسلام في الفكر الغربي	د. محمد زقزوق	الأمة
الاسلام في المعترك الحضاري	بهاء الدين الاميري	بيروت
الاسلام في مواجهة التحديات	ابو الاعلي المودودي	ط بيروت
الاسلام قوة الغد العالمية	باول سمتر	مكتبة وهبة
الاسلام وحاجة الانسانية اليه	د. محمد يوسف موسى	مكتبة الفلاح الكويت
الاسلام والغرب والمستقبل	تويني	دار العربية بيروت
الاسلام ومشكلات الحضارة	الاستاذ سيد قطب	ط دار الشروق
الاسلام يتحدى	وحيد الدين خان	دار البحوث العلمية
الانسان بين المادية والاسلام	للاستاذ محمد قطب	ط بيروت الطبعة الرابعة
الانسان ذلك المجهول	الكسيس كاريل	مكتبة المعارف بيروت
بين الدين والعلم	جلال مظهر	ط الحلبي
تاريخ الطبري	الطبري	دار المعارف
تاريخ العالم	هليز	النهضة بالقاهرة
التبشير والاستعمار	خالدي وفروخ	المكتبة العصرية بيروت
تجديد الفكر الديني	محمد اقبال	لجنة التأليف والترجمة والنشر
تفسير ابن كثير	ابن كثير	المعرفة بيروت
جامع الأصول	ابن الاثير الجزري	الحلواني والملاح والبيان سنة ١٩٧٢م
حرب أم سلام	مستر دالاس	العالمية للطباعة

الترجمة العربية ط- القاهرة	راندولف تشرشل	حرب الأيام الستة
	د. أحمد شلبي	الحضارة الاسلامية
		الحضارة الاسلامية مقارنة
دار الوفاء القاهرة	د. توفيق الواعي	بالحضارة الغربية
عيسى الحلبي القاهرة	غستاف لوبون	حضارة العرب
مطبعة الكتاب العربي	عباس العقاد	حقائق الاسلام واباطيل خصومة
دار النجاح	محمود شيت خطاب	حقيقة اسرائيل
العدوى	د. محمود نعيم ياسين	الخائفون من الاسلام
مكتبة الفلاح الكويت	د. توفيق الواعي	الدعوة الى الله
مؤسسة الرسالة	طه مدور	الديانات والحضارات
الاستقامة	أحمد شوقي	ديوان أحمد شوقي
		السنة ومكانتها في التشريع
المكتب الاسلامي	د. مصطفى السباعي	الإسلامي
عيسى الحلبي	ابن كثير	سيرة ابن كثير
الحلبي القاهرة	ابن هشام	سيرة ابن هشام
المكتب الاسلامي	أنور الجندي	شبهات التغريب
		شمس العرب تسطع على
دار صادر بيروت	زغريد هونكة	الغرب
ط الكتاب العربي	عباس العقاد	الشيوعية والاسلام
الطبعة الأولى	محمد عبد الغني النواوي	الصراع العربي الاسرائيلي
علي دار الوفاء القاهرة	حسنين بن محمد بن علي	الطريق الى جماعة المسلمين
القاهرة سنة ١٩٦٦م	وليم سليم	الطليعة مجلدة
ط بيروت سنة ١٩٦٩م	عمر فروخ	عبقريّة العرب في العلم والفلسفة
دار احياء الكتب، العربية	الأستاذ سيد قطب	العدالة الاجتماعية
المطبعة السلفية وجريدة المؤيد	محب الدين الخطيب	الغارة على العالم الاسلامي
دار البحوث الكويت	د. علي عبد الحليم	الغزو الفكري
القاهرة	زكريا هاشم	فضل الحضارة الاسلامية على العالم
		الفكر الاسلامي الحديث وصلته
مكتبة وهبة	د. محمد البهي	بالعالم ابيبي
المعرفة بيروت	غستاف لوبون	فلسفة التاريخ
دار المعرفة بيروت	المناولي	فيض القدير

طه الثانية بيروت	جلال العالم	قادة الغرب يقولون
الأردن وبيروت	جريدة	الكفاح الاسلامي عام ١٩٥٥
مكتبة الانجلو المصرية	جلال مظهر	الاسبوع الثاني من بيسان
الكويت	الاصلاح الاجتماعي	مآثر العرب على الحضارة
	محمد محمود الصواف	الأوربية
دار الاعتصام	أنور الجندي	المجتمع الكويتية
دار الكتب الاسلامية	ولز	المخططات الاستعمارية
م ٢٩ - ج - ٥٠	محمد الغزالي	المد الإسلامي في مطلع
الارشاد بيروت	رشيد رضا	القرن الخامس عشر الهجري
الكويت	مصطفى السباعي	معالم تاريخ الانسانية
	الكويت	مع الله
		المنار
		من روائع حضارتنا
		الوطن الكويتية جريدة

The Enemies of Islam Plots against Islam

By: Dr. Tawfiq al-Wa'il

This paper discloses the conspiracies of the enemies of Islam such as the crusaders, communists, seculars and Christians' plotting with them and leftists. It also explains the Jews' cunning intents which aim at spreading Greater Israel's authority over the area they claim as theirs by weakening, in collaboration with Western powers, the Arab world by splitting it into several small weak sectarian states which will protect and have relations with Israel. The research also discloses the close relations between Christians and Jews and imperialists and how these powers collaborated in plotting against Islam and Muslims. The paper concludes by urging Muslims to be on the alert and to unite under the banner of Islam to fend off dangers and protect their countries.